تفسير ابن كثير

قال الإمام أبو جعفر الطبري : اختلف المفسرون في السبب الجالب لهذه الكاف في قوله { كما أخرجك ربك } فقال بعضهم شبه به في الصلاح للمؤمنين اتقاؤهم ربهم وإصلاحهم ذات بينهم وطاعتهم ورسوله ثم روي عن عكرمة نحو هذا ومعنى هذا أن ا تعالى يقول كما أنكم لما اختلفتم في المغانم وتشاححتم فيها فانتزعها ا منكم وجعلها إلى قسمه وقسم رسوله صلى ا عليه وسلّم فقسمها على العدل والتسوية فكان هذا هو المصلحة التامة لكم وكذلك لما كرهتم الخروج إلى الأعداء من قتال ذات الشوكة وهم النفير الذين خرجوا لنصر دينهم وإحراز عيرهم فكان عاقبة كراهتكم للقتال بأن قدره لكم وجمع به بينكم وبين عدوكم على غير ميعاد رشدا وهدى ونصرا وفتحا كما قال تعالى : { كتب عليكم القتال وهو كره لكم وعسى أن تكرهوا شيئا وهو خير لكم وعسى أن تحبوا شيئا وهو شر لكم وا يعلم وأنتم لا تعلمون } قال ابن جرير وقال آخرون معنى ذلك { كما أخرجك ربك من بيتك بالحق } على كره من فريق من المؤمنين كذلك هم كارهون للقتال فهم يجادلونك فيه بعدما تبين لهم ثم روي عن مجاهد نحوه أنه قال { كما أخرجك ربك } قال كذلك يجادلونك في الحق وقال السدي : أنزل ا في خروجه إلى بدر ومجادلتهم إياه فقال { كما أخرجك ربك من بيتك بالحق وإن فريقا من المؤمنين لكارهون } لطلب المشركين { يجادلونك في الحق بعد ما تبين } وقال بعضهم يسألونك عن الأنفال مجادلة كما جادلوك يوم بدر فقالوا أخرجتنا للعير ولم تعلمنا قتالا فنستعد له قلت : رسول ا صلى ا عليه وسلّم إنما خرج من المدينة طالبا لعير أبي سفيان التي بلغه خبرها أنها صادرة من الشام فيها أموال جزيلة لقريش فاستنهض رسول ا صلى ا عليه وسلّم المسلمين من خف منهم فخرج في ثلثمائة وبضعة عشر رجلا وطلب نحو الساحل من على طريق بدر وعلم أبو سفيان بخروج رسول ا صلى ا عليه وسلّم في طلبه فبعث ضمضم بن عمرو نذيرا إلى أهل مكة فنهضوا في قريب من ألف مقنع ما بين التسعمائة إلى الألف وتيامن أبو سفيان بالعير إلى سيف البحر فنجا وجاء النفير فوردوا ماء بدر وجمع ا بين المسلمين والكافرين على غير ميعاد لما يريد ا تعالى من إعلاء كلمة المسلمين ونصرهم على عدوهم والتفرقة بين الحق والباطل كما سيأتي بيانه والغرض أن رسول ا صلى ا عليه وسلّم لما بلغه خروج النفير أوحى ا إليه يعده إحدى الطائفتين إما العير وإما النفير ورغب كثير من المسلمين إلى العير لأنه كسب بلا قتال كما قال تعالى : { وتودون أن غير ذات الشوكة تكون لكم ويريد ا أن يحق الحق بكلماته ويقطع دابر الكافرين } قال الحافظ أبو بكر بن مردويه في تفسيره حدثنا سليمان بن أحمد الطبراني حدثنا بكر بن سهل حدثنا عبد ا بن يوسف حدثنا ابن لهيعة

عن يزيد بن أبي حبيب عن أسلم أبي عمران حدثه أنه سمع أبا أيوب الأنصاري يقول : قال رسول ا صلى ا عليه وسلّم ونحن بالمدينة [إني أخبرت عن عير أبي سفيان أنها مقبلة فهل لكم أن نخرج قبل هذه العير لعل ا أن يغنمناها ؟ فقلنا نعم فخرج وخرجنا فلما سرنا يوما أو يومين قال لنا ما ترون في قتال القوم فإنهم قد أخبروا بمخرجكم ؟ فقلنا لا وا ما لنا طاقة بقتال العدو ولكنا أردنا العير ثم قال ما ترون في قتال القوم ؟ فقلنا مثل ذلك فقال المقداد بن عمرو : إذا لا نقول لك يا رسول ا كما قال قوم موسى لموسى { اذهب أنت وربك فقاتلا إنا هاهنا قاعدون } قال فتمنينا معشر الأنصار أن لو قلنا كما قال المقداد أحب إلينا من أن يكون لنا مال عظيم قال فأنزل ا على رسوله صلى ا عليه وسلّم { كما أخرجك ربك من بيتك بالحق وإن فريقا من المؤمنين لكارهون }] وذكر تمام الحديث ورواه ابن أبي حاتم من حديث ابن لهيعة بنحوه وروى ابن مردويه أيضا من حديث محمد بن عمرو بن علقمة بن أبي وقاص الليثي عن أبيه عن جده قال [خرج رسول ا صلى ا عليه وسلّم إلى بدر حتى إذا كان بالروحاء خطب الناس فقال كيف ترون ؟ فقال أبو بكر : يا رسول ا بلغنا أنهم بمكان كذا وكذا قال : ثم خطب الناس فقال كيف ترون ؟ فقال عمر مثل قول أبي بكر ثم خطب الناس فقال : كيف ترون ؟ فقال سعد بن معاذ يا رسول ا إيانا تريد ؟ فوالذي أكرمك وأنزل عليك الكتاب ما سلكتها قط ولا لي بها علم ولئن سرت حتى تأتي برك الغماد من ذي يمن لنسيرن معك ولا نكون كالذين قالوا لموسى { اذهب أنت وربك فقاتلا إنا هاهنا قاعدون } ولكن اذهب أنت وربك فقاتلا إنا معكما مقاتلون ولعلك أن تكون خرجت لأمر وأحدث ا إليك غيره فانظر الذي أحدث ا إليك فامض له فصل حبال من شئت واقطع حبال من شئت وعاد من شئت وسالم من شئت وخذ من أموالنا ما شئت فنزل القرآن على قول سعد { كما أخرجك ربك من بيتك بالحق وإن فريقا من المؤمنين لكارهون }] الايات وقال العوفي عن ابن عباس لما شاور النبي صلى ا عليه وسلّم في لقاء العدو وقال له سعد بن عبادة ما قال وذلك يوم بدر أمر الناس أن يتهيئوا للقتال وأمرهم بالشوكة فكره ذلك أهل الإيمان فأنزل ا { كما أخرجك ربك من بيتك بالحق وإن فريقا من المؤمنين لكارهون * يجادلونك في الحق بعد ما تبين كأنما يساقون إلى الموت وهم ينظرون } وقال مجاهد يجادلونك في الحق : في القتال وقال محمد بن إسحاق { يجادلونك في الحق } أي كراهية للقاء المشركين وإنكارا لمسير قريش حين ذكروا لهم وقال السدي : { يجادلونك في الحق بعد ما تبين } أي بعد ما تبين لهم أنك لا تفعل إلا ما أمرك ا به قال ابن جرير وقال آخرون عنى بذلك المشركين حدثنا يونس أنبأنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله تعالى : { يجادلونك في الحق بعد ما تبين كأنما يساقون إلى الموت وهم ينظرون } قال هؤلاء المشركون جادلوه في الحق كأنما يساقون إلى الموت حين يدعون إلى الإسلام وهم ينظرون قال وليس هذا من صفة الاخرين هذه صفة مبتدأة لأهل الكفر ثم قال ابن

جرير : ولا معنى لما قاله لأن الذي قبل قوله { يجادلونك في الحق } خبر عن أهل الإيمان والذي يتلوه خبر عنهم والصواب قول ابن عباس وابن إسحاق : أنه خبر عن المؤمنين وهذا الذي نصره ابن جرير هو الحق وهو الذي يدل عليه سياق الكلام وا أعلم وقال الإمام أحمد C حدثنا يحيى بن بكير وعبد الرزاق قالا : حدثنا إسرائيل عن سماك عن عكرمة عن ابن عباس قال : قيل لرسول ا صلى ا عليه وسلّم حين فرغ من بدر : عليك بالعير ليس دونها شيء فناداه العباس بن عبد المطلب قال عبد الرزاق وهو أسير في وثاقه إنه لا يصلح لك قال ولم ؟ قال لأن ا D إنما وعدك إحدى الطائفتين وقد أعطاك ا ما وعدك إسناد جيد ولم يخرجه ومعنى قوله تعالى : { وتودون أن غير ذات الشوكة تكون لكم } أي يحبون أن الطائفة التي لا حد لها ولا منعة ولا قتال تكون لهم وهي العير { ويريد ا أن يحق الحق بكلماته } أي هو يريد أي يجمع بينكم وبين الطائفة التي لها الشوكة والقتال ليظفركم بهم وينصركم عليهم ويظهر دينه ويرفع كلمة الإسلام ويجعله غالبا على الأديان وهو أعلم بعواقب الأمور وهو الذي يدبركم بحسن تدبيره وإن كان العباد يحبون خلاف ذلك فيما يظهر لهم كقوله تعالى : { كتب عليكم القتال وهو كره لكم وعسى أن تكرهوا شيئا وهو خير لكم وعسى أن تحبوا شيئا وهو شر لكم } وقال محمد بن إسحاق C : حدثني محمد بن مسلم الزهري وعاصم بن عمر بن قتادة وعبد ا بن أبي بكر ويزيد بن رومان عن عروة بن الزبير وغيرهم من علمائنا عن عبد ا بن عباس كل قد حدثني بعض هذا الحديث فاجتمع حديثهم فيما سقت من حديث بدر قالوا [لما سمع رسول ا صلى ا عليه وسلّم بأبي سفيان مقبلا من الشام ندب المسلمين إليهم وقال هذه عير قريش فيها أموالهم فاخرجوا إليها لعل ا أي ينفلكموها فانتدب الناس فخف بعضهم وثقل بعضهم وذلك أنهم لم يظنوا أن رسول ا صلى ا عليه وسلّم يلقى حربا وكان أبو سفيان قد استنفر حين دنا من الحجاز يتجسس الأخبار ويسأل من لقي من الركبان تخوفا على أمر الناس حتى أصاب خبرا من بعض الركبان أن محمدا قد استنفر أصحابه لك ولعيرك فحذر عند ذلك فاستأجر ضمضم بن عمرو الغفاري فبعثه إلى أهل مكة وأمره أن يأتي قريشا فيستنفرهم إلى أموالهم ويخبرهم أن محمدا قد عرض لها في أصحابه فخرج ضمضم بن عمرو سريعا إلى مكة وخرج رسول ا صلى ا عليه وسلّم في أصحابه حتى بلغ واديا يقال له ذفران فخرج منه حتى إذا كان ببعضه نزل وأتاه الخبر عن قريش بمسيرهم ليمنعوا عيرهم فاستشار رسول ا صلى ا عليه وسلّم الناس وأخبرهم عن قريش فقام أبو بكر Bه فقال فأحسن ثم قام عمر Bه فقال فأحسن ثم قام المقداد بن عمرو فقال يا رسول ا امض لما أمرك ا به فنحن معك وا لا نقول لك كما قالت بنو إسرائيل لموسى : { اذهب أنت وربك فقاتلا إنا هاهنا قاعدون } ولكن اذهب أنت وربك فقاتلا إنا معكما مقاتلون فو الذي بعثك بالحق لو سرت بنا إلى برك الغماد يعني مدينة الحبشة لجالدنا معك من دونه حتى تبلغه فقال له رسول ا A خيرا ودعا له بخير ثم قال رسول ا A

أشيروا علي أيها الناس وإنما يريد الأنصار وذلك أنهم كانوا عدد الناس وذلك أنهم حين بايعوه بالعقبة قالوا : يا رسول ا إنا برآء من زمامك حتى تصل إلى دارنا فإذا وصلت إلينا فأنت في زمامنا نمنعك مما نمنع منه أبناءنا ونساءنا وكان رسول ا A يتخوف أن لا تكون الأنصار ترى عليها نصرته إلا ممن دهمه بالمدينة من عدوه وأن ليس عليهم أن يسير بهم إلى عدو من بلادهم فلما قال رسول ا A ذلك قال له سعد بن معاذ : وا لكأنك تريدنا يا رسول ا ؟ قال : أجل فقال آمنا بك وصدقناك وشهدنا أن ما جئت به هو الحق وأعطيناك على ذلك عهودنا ومواثيقنا على السمع والطاعة فامض يا رسول ا لما أمرك ا فو الذي بعثك بالحق إن استعرضت بنا هذا البحر فخضته لخضناه معك ما يتخلف منا رجل واحد وما نكره أن تلقى بنا عدونا غدا إنا لصبر عند الحرب صدق عند اللقاء ولعل ا يريك منا ما تقر به عينك فسر بنا على بركة ا فسر رسول ا A بقول سعد ونشطه ذلك ثم قال سيروا على بركة ا وأبشروا فإن ا قد وعدني إحدى الطائفتين وا لكأني الان أنظر إلى مصارع القوم] وروى العوفي عن ابن عباس نحو هذا وكذلك قال السدي وقتادة وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم وغير واحد من علماء السلف والخلف اختصرنا أقوالهم اكتفاء بسياق محمد بن إسحاق